E-KUTUB
Publisher of publishers
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
under Number: 07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office
/Linden Strasse 22, Bruchweiler 55758
Rhineland-Palatinate
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY
Tel: (0044)(0)2081334132

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

والفصول المهمة، ج3، ص392. وبحار الأنوار، ج63، ص313. وتفسير نور الثقلين، ج1، ص320. وتفسير كنز الدقائق، ج3، ص51.

13. الأمالي للشيخ الصدوق، ج1، ص283. وروضة الواعظين، ج1، ص117. وبحار الأنوار، ج41، ص103.

14. بحار الأنوار، ج67، ص315.

15. الأمالي، للشيخ الطوسي، ج1، ص525. ومكارم الأخلاق، ج1، ص458. ومجموعة ورّام، ج2، ص51. وبحار الأنوار، ج74، ص73.

16. الأمالي للشيخ الصدوق، ج1، ص281. وروضة الواعظين، ج1، ص116. ووسائل الشيعة، ج1، ص88. وبحار الأنوار، ج41، ص102.

17. كمال الدين، ج2، ص483. والغيبة للشيخ الطوسي، ج1، ص290. وإعلام الورى، ج2، ص270. والخرائج و الجرائح، ج3، ص1113. والاحتجاج، ج2، ص469. وكشف الغمة، ج2، ص531. ومنتخب الأنوار، ج1، ص122. ونوادر الأخبار، ج1، ص240. وبحار الأنوار، ج53، ص180.

18. عوالي اللئالي، ج4، ص58.

المصادر

1. الاحتجاج، ج2، ص456. ونوادر الأخبار، ج1، ص28. وبحار الأنوار، ج2، ص86.
2. كليات حديث قدسي، ج1، ص639.
3. غرر الحكم، ج1، ص467.
4. تحف العقول، ج1، ص223. وبحار الأنوار، ج75، ص63.
5. تفسير البرهان، ج4، ص322. وبحار الأنوار، ج16، ص204. وتفسير نور الثقلين، ج4، ص162. وتفسير كنز الدقائق، ج10، ص149.
6. التفسير العسكري عليه السلام، ج1، ص53. والاحتجاج، ج2، ص320. ونوادر الأخبار، ج1، ص31. وبحار الأنوار، ج2، ص84.
7. الكافي، ج2، ص295. ومنية المريد، ج1، ص318. والوافي، ج5، ص856. ووسائل الشيعة، ج1، ص73. وبحار الأنوار، ج69، ص288.
8. خصائص الأئمة عليهم السلام، ج1، ص112. وعيون الحكم، ج1، ص66. ومجموعة ورّام، ج1، ص150. وعوالي اللئالي، ج4، ص73. وبحار الأنوار، ج4، ص43.
9. فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ج1، ص128. والغيبة، للشيخ النعماني، ج1، ص278. وبحار الأنوار، ج52. ص245.
10. مكارم الأخلاق، ج1، ص446. والوافي، ج26، ص202. وبحار الأنوار، ج74، ص92.
11. عوالي اللئالي، ج1، ص322. وبحار الأنوار، ج81، ص249. ومستدرك الوسائل، ج4، ص98.
12. المحاسن، ج1، ص295. والكافي، ج2، ص289. والخصال، ج1، ص330. ومجموعة ورّام، ج2، ص205. وإرشاد القلوب، ج1، ص177. والوافي، ج5، ص892. ووسائل الشيعة، ج15، ص339.

عُرف بحبّه للفقراء والمستضعفين والمساكين والمحرومين، فكان دائم السير في قضاء حوائجهم وإيصال المستحقات من حقوقهم، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، رغم أنَّه كان يعيش ألَم الفقر ومرارة العوز والحرمان، وبأقصى مراتبها. حتى بَلَغ به الحال أن يُرمى أثاث داره في الشارع لعدم تمكّنه من دفع الإيجار سكنه، فاضطر للمبيت مع عائلته في أحد غُرف مسجد الكوفة.

تَتَلْمَذَ على يديه العديد من العلماء والفقهاء أمثال السيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ محمد تقي الآملي، والسيد حسن الأصفهاني، والسيد هاشم الحداد، والشيخ محمد تقي بهجت، وغيرهم، ممن حَمَلوا عن السيد القاضي نَهجَه وسُلوكَه وَوَرَعَه وَزُهده وَتَقواه.

والتَّعلّق بالآخرة ونعيمها، إلا أنَّه وكما وردَ عن أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قوله: " مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ ."[18]

لذلك نختم هذا الكتاب بإشارة موجزة لِعَلَمٍ بارزٍ مِن أعلامِ الطائفة الشيعية، وقد عُرف عنه العِلْمَ والفَقَاهَةَ، والورع والزهد والتقوى، وهو الفقيه العارف السيد علي القاضي الطباطبائي (قدّس سرّه).

كان السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي عالمًا، وعارفًا، وفقيهًا، وأستاذًا، وفيلسوفًا. وُلد في مدينة تبريز عام 1282هـ ، من أسرة عُرفت بالعلم والتقوى، وهاجر إلى النجف الأشرف لمواصلة دراسته الحوزوية، حتى بلغ درجة الاجتهاد وهو في سنّ السابعة والعشرين. وكان عالِمًا بارعًا وفقيهًا ومفسرًا وعبقريًا في العديد من العلوم وأشهرها الفقه والأصول والحديث والتفسير؛ كانت له خصال فريدة ومناقب جليلة، فقد كان مثالًا في الزّهد، وكانَ مَدرسة في الفضائل الأخلاقية والسلوكيات الحميدة، ونموجًا يُحتذى به في العدل والرحمة والتواضع.

كانَ مِن أكابرِ العُبّاد والمتهجّدين، فقد كان كثير الصلاة ومذكّرًا بأدائها في وقتها؛ دائم التأمل؛ شديد الحرص على تلاوة القرآن الكريم. ويُنقل عنه الخُلق والتواضع الشديدين؛ لم يطرق باب الدنيا أبدًا، بل كان دائم الفرار منها، ولم يسع خلف منصب أو يُمنّي نفسه برئاسة؛ لم يكنز المال ولم يُعمّر القصور؛ كان بعيدًا عن العُجب والغرور، فلم يرغب يومًا بالمديح والثناء، أو حتى الإشارة إليه لما بَلَغَ من مقامات علمية وعرفانية.

لكنهم ومن شدّة ورعهم وزهدهم وتقواهم كانت نفوسهم عفيفة، وأيديهم نظيفة، وقلوبهم طاهرة؛ صَدَقوا في إيمانهم، وأخلصوا في نواياهم، فلم يلجؤوا بحثًا عن المخارج الشرعية ليخدعوا بها العوام أو يخادعوا بها أنفسهم فيعطوها المجوز الشرعي في التّصرف ووضع اليد عليها لتكون ملكًا لهم.

كان لهم دور محوري في تعميق الوعي الإنساني داخل المجتمع الشيعي وخارجه. لقد قدَّم علماء وفقهاء الشيعة الوعي الفكري والأخلاقي والروحي بأبهى وأجمل صوره، وأوصلوا لنا الأمانة لكي يواصل حَملها العلماء المخلصون، وليحافظوا على جوهر وروح القرآن الكريم وتراث النبيّ وآل بيت النبيّ (عَلَيْهِمُ السَّلامُ)، ويجتهدوا في القراءة والتفسير واستنباط الأحكام، ويعمّقوا الأسس الفقهية والقِيَم والمبادئ الإسلامية.

لقد جاهدوا واجتهدوا في تطوير علم الكلام، وأبدعوا في استنباط الأحكام، وعالجوا المستحدثات من القضايا المعاصرة، وقرؤوا التاريخ قراءة دقيقة، دون تزلّف أو شكّ أو ريب أو محابات أو تزييف للحقيقة.

حَمَلوا راية الحق صابرين وفي سبيل الله مجاهدين، فأسسوا المدارس وارتقوا المنابر سعيًا في تثبيت أركان الدين في نفوس المسلمين، فكانوا بصدق المثل الأعلى في الورع والإيمان والنموذج الذي يُحتذى به في الأخلاق والإحسان.

إنَّ القائمة تطول بذكر العلماء والفقهاء ممن عُرفوا بالعلم والفقاهة، والورع والتقوى، والزهد والتواضع، والعزوف عن الدنيا وملذّاتها،

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِصَامٍ اَلْكُلَيْنِيُّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ اَلْكُلَيْنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمَانَ اَلْعَمْرِيَّ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُوصِلَ لِي كِتَاباً قَدْ سَأَلْتُ فِيهِ عَنْ مَسَائِلَ أَشْكَلَتْ عَلَيَّ فَوَرَدَتْ فِي اَلتَّوْقِيعِ بِخَطِّ مَوْلاَنَا صَاحِبِ اَلزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: " ... وَ أَمَّا اَلْحَوَادِثُ اَلْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَ أَنَا حُجَّةُ اَللَّهِ عَلَيْهِمْ ..."[17].

ورغم أنّ الساحة تفرز بين الحين والحين رجالات تدّعي العلم والفقاهة وهم في الواقع لا يليقون بحمل رسالة الدين، إلا أنَّ ذلك لم يمنع بُروز عُلماء وفقهاء عارفين، تميّزوا بالوَّرع والتقوى، والزّهد والتواضع، والعبقرية والنبوغ، والقدرة العالية في الاستنباط ومراعاة الاحكام الفقهية المستجدّة ومعالجتها بعلمية استدلالية عميقة.

وهذا ما جعل منهم مميزين في أغلب أبواب العلوم والمعارف، وليس فقط ضمن حدود الفقه والاصول؛ فقد طوَّروا أبوابًا واستحدثوا أخرى تماشيا مع المتطلبات والمتغيرات التي تفرضها تطورات العصر.

إنَّ أعظم ما تميّز به العماء والفقهاء العدول هو الورع والتقوى والزهد في الحياة الدنيا؛ فقد جاهد هؤلاء المخلصون والفقهاء العارفون بكل صبر وثبات، فقدَّموا صورًا ناصعة للدين، وحملوا الأمانة كما أمرهم الباري عزَّ وجل، ولم يميلوا إلى الدنيا وزينتها، ولم يلهثوا خَلف حطامها. وكانوا أُمناء على الأموال والحقوق الشرعية التي بين أيديهم، رغم أنَّهم وأهليهم كانوا بأشد الحاجة إليها.

بالأدوار العظيمة والمهام الجليلة والتضحيات البطولية التي قدَّمها وتحمَّلها علماء وفقهاء ومفكروا الشيعة المخلصون، والصادقون، على مرّ التاريخ.

كانَ النبيّ المصطفى (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه) المؤسس الأول للحضارة الإسلامية وأعظم من عمَّق الوعي الإنساني، ولقد أُرسِلَ هاديًا للبشرية وداعيًا إلى مكارم الأخلاق، ومشّرعًا لقوانين أسست لقيام مجتمع يسوده العدل والانصاف، والقيم، والمُثل، والمبادئ الاجتماعية الحقَّة.

ثُمَّ سار على نهجه أئمة هداة مهديين (عَلَيْهِمُ السَّلامُ)، وهم الحجج على العباد والأمناء في البلاد، لم ولن تخلوا الأرض منهم، قد نَصَّ الله تعالى عليهم، وسمّى النبيُّ بأسمائهم، وأَمَرَ المسلمين بطاعتهم. جاهدوا في الله حق جهاده، فاستنقذوا العباد من الجهالة وحيرة الضلالة.

واليوم ونحن نعيش زمن الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر، صاحب العصر والزمان، الإمام محمد بن الحسن المهدي (عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ)، والتي بدأت سنة 329هـ بعد وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري، حيث بدأ الناس بالرجوع إلى الفقهاء العدول ليأخذوا منهم معالم الدين، وجميع ما يتعلق بأحكام الحلال والحرام، ويستوضحوا منهم رأي الشارع المقدس فيما يخص القضايا المطروحة.

أَبِي نَجْرَانَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ اَلْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ: " وَ اَللَّهِ إِنْ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيَأْكُلُ أَكْلَ اَلْعَبْدِ وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ اَلْعَبْدِ وَ إِنْ كَانَ لَيَشْتَرِي اَلْقَمِيصَيْنِ اَلسُّنْبُلاَنِيَّيْنِ فَيُخَيِّرُ غُلاَمَهُ خَيْرَهُمَا ثُمَّ يَلْبَسُ اَلْآخَرَ فَإِذَا جَازَ أَصَابِعَهُ قَطَعَهُ وَ إِذَا جَازَ كَعْبَهُ حَذَفَهُ وَ لَقَدْ وَلِيَ خَمْسَ سِنِينَ مَا وَضَعَ آجُرَّةً عَلَى آجُرَّةٍ وَ لاَ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَ لاَ أَقْطَعَ قَطِيعاً وَ لاَ أَوْرَثَ بَيْضَاءَ وَ لاَ حَمْرَاءَ وَ إِنْ كَانَ لَيُطْعِمُ اَلنَّاسَ خُبْزَ اَلْبُرِّ وَ اَللَّحْمِ وَ يَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ يَأْكُلُ خُبْزَ اَلشَّعِيرِ وَ اَلزَّيْتِ وَ اَلْخَلِّ وَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ كِلاَهُمَا لِلَّهِ رِضًى إِلاَّ أَخَذَ بِأَشَدِّهِمَا عَلَى بَدَنِهِ وَ لَقَدْ أَعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ كَدِّ يَدِهِ تَرِبَتْ فِيهِ يَدَاهُ وَ عَرِقَ فِيهِ وَجْهُهُ وَ مَا أَطَاقَ عَمَلَهُ أَحَدٌ مِنَ اَلنَّاسِ وَ إِنْ كَانَ لَيُصَلِّي فِي اَلْيَوْمِ وَ اَللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ وَ إِنْ كَانَ أَقْرَبُ اَلنَّاسِ شَبَهاً بِهِ عَلِيَّ بْنَ اَلْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ وَ مَا أَطَاقَ عَمَلَهُ أَحَدٌ مِنَ اَلنَّاسِ بَعْدَهُ ."[16]

العلماء والفقهاء العارفون ودورهم في تعميق الوعي الإنساني

إنَّه وانطلاقًا مِن واجبِ الأمرِ بالمعروفِ والنّهي عَنِ المُنكر، ورغبة في التصحيح وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح؛ وفي الوقت الذي يتمّ فيه تشخيص الأخطاء والانحرافات في منهج أو سلوك البعض ممن لَبسوا عباءة الدّين وتقمّصوا أدوار رجالاته، فإنَّ الواجب كذلك يحتمّ على الجميع الوقوف بكلّ إجلال وإكبار أمام أولئك الذين حَمَلوا أمانة الدين بكلّ صدق واخلاص ويقين، والإشادة

أَذْهَبُ لِدِينِ اَلرَّجُلِ مِنْ ذِئْبَيْنِ ضَارِيَيْنِ فِي زَرِيبَةِ اَلْغَنَمِ فَأَغَارَا فِيهَا حَتَّى أَصْبَحَا فَمَا ذَا أَبْقَيَا مِنْهَا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اَللَّهِ اَلْخَائِفُونَ اَلْخَاضِعُونَ اَلْمُتَوَاضِعُونَ اَلذَّاكِرُونَ اَللَّهَ كَثِيراً يَسْبِقُونَ اَلنَّاسَ إِلَى اَلْجَنَّةِ فَقَالَ لاَ وَ لَكِنَّ فُقَرَاءَ اَلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ فَيَتَخَطَّوْنَ رِقَابَ اَلنَّاسِ فَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ اَلْجَنَّةِ كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى تُحَاسَبُوا فَيَقُولُونَ بِمَ نُحَاسَبُ فَوَ اَللَّهِ مَا مَلَكْنَا فَنَجُورَ أَوْ نَعْدِلَ وَ لاَ أُفِيضَ عَلَيْنَا فَنَقْبِضَ وَ نَبْسُطَ وَ كُنَّا نَعْبُدُ رَبَّنَا حَتَّى أَتَانَا اَلْيَقِينُ يَا أَبَا ذَرٍّ اَلدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ لِلْقَلْبِ وَ اَلْبَدَنِ وَ إِنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَسْأَلُ أَهْلَ اَلدُّنْيَا عَمَّا نُعِّمُوا فِي حَلاَلِهَا فَكَيْفَ بِمَا تَنَعَّمُوا فِي حَرَامِهَا يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ اَللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَجْعَلَ رِزْقَ مَنْ أَحَبَّنِي اَلْكَفَافَ وَ يُعْطِيَ مَنْ يُبْغِضُنِي كَثْرَةَ اَلْمَالِ وَ اَلْوَلَدِ يَا أَبَا ذَرٍّ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي اَلدُّنْيَا وَ اَلرَّاغِبِينَ فِي اَلْآخِرَةِ اَلَّذِينَ اِتَّخَذُوا أَرْضَ اَللَّهِ بِسَاطاً وَ تُرَابَهَا فِرَاشاً وَ مَاءَهَا طَيِّباً وَ اِتَّخَذُوا اَلْكِتَابَ شِعَاراً وَ اَلدُّعَاءَ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ دِثَاراً وَ قَرَضُوا اَلدُّنْيَا قَرْضاً يَا أَبَا ذَرٍّ حَرْثُ اَلْآخِرَةِ اَلْعَمَلُ اَلصَّالِحُ وَ حَرْثُ اَلدُّنْيَا اَلْمَالُ وَ اَلْبَنُونَ ... ".[15]

ولا أدري هل سألوا أنفسهم أنّ أفعالهم هذه تقوم على أساس شرعي ثابت وقويم، أم على مخارج شرعية وفتاوى مختلف عليها؛ يخدعون بها الناس ويخادعون أنفسهم. عجبًا لمن يُذكّر الناس في خُطَبِهِ بالآخرة وهو يهرول ليل نهار خلف الدنيا، ويُحدّث الناس عن الزهد في الدنيا ويبيح لنفسه نعيمها.

روى الشيخ الشيخ الصدوق في الأمالي، قال حَدَّثَنَا أَبِي رَحِمَهُ اَللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ بْنِ

شرعية لتحليل ما حرّم الله؛ ساروا على هدى من ربهم فزادهم الله هدى، قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: 16].

إنَّ من صفات تجّار الدين أنك تراهم يبالغون في مدح من يعطي ويدعم مشاريعهم، فيكثرون من ذكر فضائله في المجالس والمحافل، وأما من يمتنع عن الدفع وينتقد أفعالهم، ويكشف حقائقهم، فتراهم ينهالون عليه غاضبين وبأبشع العبارات مبادرين، بل ولا يتحرجون في اتهامه بأبشع التّهم والتشهير به بين الناس.

إنَّ هؤلاء لا يقنعون ولا يشبعون، فما أن تراهم قد أتمّوا مشروعًا وحققوا منه أهدافهم ونالوا مرادهم حتى انتقلوا إلى مشاريع أكثر ريعًا وأشدّ نفعًا.

عن أَبُو حَرْبِ بْنُ أَبِي اَلْأَسْوَدِ اَلدُّؤَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمْتُ اَلرَّبَذَةَ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ فَحَدَّثَنِي أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ دَخَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي صَدْرِ نَهَارِهِ عَلَى رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي مَسْجِدِهِ فَلَمْ أَرَ فِي اَلْمَسْجِدِ أَحَداً مِنَ اَلنَّاسِ إِلاَّ رَسُولَ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى جَانِبِهِ جَالِسٌ فَاغْتَنَمْتُ خَلْوَةَ اَلْمَسْجِدِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اَللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي أَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ يَنْفَعُنِي اَللَّهُ بِهَا فَقَالَ ... إلى أن قال " يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَلْبَسُ اَلْغَلِيظَ وَ أَجْلِسُ عَلَى اَلْأَرْضِ وَ أَلْعَقُ أَصَابِعِي وَ أَرْكَبُ اَلْحِمَارَ بِغَيْرِ سَرْجٍ وَ أُرْدِفُ خَلْفِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي يَا أَبَا ذَرٍّ حُبُّ اَلْمَالِ وَ اَلشَّرَفِ

غَيْرِ تَأَسُّفٍ عَلَى فَوْتِهَا وَ لاَ إِعْجَابٍ فِي تَرْكِهَا وَ لاَ اِنْتِظَارِ فَرَجٍ مِنْهَا وَ لاَ طَلَبِ مَحْمَدَةٍ عَلَيْهَا وَ لاَ عِوَضٍ مِنْهَا بَلْ تَرَى فَوْتَهَا رَاحَةً وَ كَوْنَهَا آفَةً وَ تَكُونُ أَبَداً هَارِباً مِنَ اَلْآفَةِ مُعْتَصِماً بِالرَّاحَةِ وَ اَلزَّاهِدُ اَلَّذِي يَخْتَارُ اَلْآخِرَةَ عَلَى اَلدُّنْيَا وَ اَلذُّلَّ عَلَى اَلْعِزِّ وَ اَلْجَهْدَ عَلَى اَلرَّاحَةِ وَ اَلْجُوعَ عَلَى اَلشِّبَعِ وَ عَاقِبَةَ اَلْآجِلِ عَلَى مَحَبَّةِ اَلْعَاجِلِ وَ اَلذِّكْرَ عَلَى اَلْغَفْلَةِ وَ يَكُونُ نَفْسُهُ فِي اَلدُّنْيَا وَ قَلْبُهُ فِي اَلْآخِرَةِ. – قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : حُبُّ اَلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ أَ لاَ تَرَى كَيْفَ أَحَبَّ مَا أَبْغَضَهُ اَللَّهُ وَ أَيُّ خَطَإٍ أَشَدُّ جُرْماً مِنْ هَذَا. – وَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اَلْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ : لَوْ كَانَتِ اَلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لُقْمَةً فِي فَمِ طِفْلٍ لَرَحِمْنَاهُ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ نَبَذَ حُدُودَ اَللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فِي طَلَبِهَا وَ اَلْحِرْصِ عَلَيْهَا وَ اَلدُّنْيَا دَارٌ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى سَاكِنِهَا لَرَحِمَتْكَ وَ أَحْسَنَتْ وَدَاعَكَ. – قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : لَمَّا خَلَقَ اَللَّهُ اَلدُّنْيَا أَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ فَأَطَاعَتْ رَبَّهَا فَقَالَ لَهَا خَالِفِي مَنْ طَلَبَكِ وَ وَافِقِي مَنْ خَالَفَكِ فَهِيَ عَلَى مَا عَهِدَ إِلَيْهَا اَللَّهُ وَ طَبَعَهَا عَلَيْهِ. "[14]

أمثال هؤلاء عادة لا يستشعرون بآلام المتعبين، رغم أنَّهم بلغوا ما بلغوا وجمعوا ما استطاعوا، وهذا الجمع ما كان ليكون لولا صمت المقهورين.

والحديث هنا بعيد عن رجال الدين المخلصين، الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الأيتام والمحرومين، ولم يكنزوا شيئًا منها، ولم يشيّدوا الدور أو يركبوا الفاره من السيارات؛ كانوا صادقين مع الله تعالى وأوفياء مع الناس، لم يخدعوا أنفسهم ولم يتلاعبوا بالنصوص طلبًا لمخارج

إنَّه وعندما تمتلئ بطون المتاجرين الدين فمن سيسمع صراخ الجياع والمحرومين، وعندما يصمت أهل الفكر والثقافة والدين، فمن سيدافع عن المكروبين، ومن يأخذ لهم الحق ممن تربّع فوق صدورهم، ونصّب نفسه واعضًا وحاميًا. والحقيقة أنّه فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف لهؤلاء أن يقدموا صورة صحيحة لأركان الدين، وهل من مصلحتهم ذلك؟ ترى كيف سيفسرون قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 188].

أو قوله تعالى: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: 42].

هل عرّفوا الناس بنهج رسول الله (صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِه) وسلوكه، وبحقيقة وصيّه والأئمة المعصومين من ذريّته (عَلَيْهِمُ السَّلامُ)؟ وهل أطلَعوا على الناس العشرات من الروايات في نهيه عن اكتناز الذهب والفضة. أستمع لخطب البعض منهم، خصوصًا أولئك الذين أحلّوا لأنفسهم ما حرّموه على غيرهم، وكيف أنَّهم يوصون الفقراء والمساكين والمُعدمين بالصبر على المحن التي ابتلاهم الله تعالى بها دون غيرهم.

رُوِيَ عَنِ الإمام اَلصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّه قَالَ: " اَلزُّهْدُ مِفْتَاحُ بَابِ اَلْآخِرَةِ وَ اَلْبَرَاءَةُ مِنَ اَلنَّارِ وَ هُوَ تَرْكُكَ كُلَّ شَيْءٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اَللَّهِ مِنْ

أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِذَا أُتِيَ بِالْمَالِ أَدْخَلَهُ بَيْتَ مَالِ اَلْمُسْلِمِينَ ثُمَّ جَمَعَ اَلْمُسْتَحِقِّينَ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ فِي اَلْمَالِ فَنَثَرَهُ يَمْنَةً وَ يَسْرَةً وَ هُوَ يَقُولُ يَا صَفْرَاءُ يَا بَيْضَاءُ لاَ تَغُرِّينِي غُرِّي غَيْرِي هَذَا جَنَايَ وَ خِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ. ثُمَّ لاَ يَخْرُجُ حَتَّى يُفَرِّقَ مَا فِي بَيْتِ مَالِ اَلْمُسْلِمِينَ وَ يُؤْتِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ثُمَّ يَأْمُر أَنْ يُكْنَسَ وَ يُرَشَّ ثُمَّ يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يُطَلِّقُ اَلدُّنْيَا ثَلاَثاً يَقُولُ بَعْدَ اَلتَّسْلِيمِ يَا دُنْيَا لاَ تَتَعَرَّضِينَ لِي وَ لاَ تَتَشَوَّقِينَ وَ لاَ تَغُرِّينِي فَقَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ .[13]

إنَّ نظرةً سريعة لخارطة الوطن ستكشف عن صورٍ مؤلمة للعديد من المدن التي باتت تعجّ ببيوت الطين وأسقف الصفيح المتهالكة، وأنَّ لمحة في وجوه ساكنيها ستظهر حالة الحزن والقهر والعذاب الذي يعانوه؛ سنرى أولئك الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وليس لهم من معين سوى الله تعالى.

مشاهد تتقطّع لها نياط القلب وأنت ترى أطفالًا بعمر الورد، ليسوا على مقاعد الدراسة، بل يتسابقون خلف حاويات النفايات، وبمشهد مؤلم يجمعون الأناني الفارغة من أكوام الفضلات المسمومة، لعلهم يسترزقوا منها ما يطفؤوا به ألم الجوع.

أنظر بقلبك لصَفَحات هذا الوطن، سَتَجد أنَّ السرّاق والفاسدين وبيوت الطين وآلام المُتعبين وجهان لعملة واحده؛ ستسمع أصواتًا تُصدّع الناس بخطبها الرنانة وأصواتها الجوهريّة وهم يتباكون حزنًا على المحرومين، وهم مَن ساهموا في تأسيس ذلك الحرمان.

رويَ عن اَلنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أنَّه قَالَ: " إِنَّ اَلرَّجُلَيْنِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومَانِ فِي اَلصَّلاَةِ وَ رُكُوعُهُمَا وَ سُجُودُهُمَا وَاحِدٌ وَ إِنَّ مَا بَيْنَ صَلاَتَيْهِمَا مِثْلُ مَا بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَ اَلْأَرْضِ ".[11]

إنَّ القِيَم والمبادئ الإسلامية لا تنبني على الظواهر والشكليات، وإنما التدبر في لبّ الأركان والأخذ بروح الإسلام، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: 10]، وأما المقاييس الدنيوية فلا تستقيم مع المعايير الأخروية، وأنَّ الدنيا لها أتباعها وأنَّ للآخرة رجالها، وعلى المؤمن أن يسعى جاهدًا لتطهير قلبه من عوالق الدنيا وزينتها وأن يفرغه من كل شاغل سوى الله تعالى، فإنَّ القلوب أوعية وخيرها أوعاها، وأنّها لا تستوعب النقيضين، فطوبى لمن أخلى قلبه وقطع أمله عن كل أمر يشغله عن الله تعالى، قال رب العزّة: ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: 4]، وقد جاء في المحاسن: عَنْهُ عَنْ نُوحِ بْنِ شُعَيْبٍ اَلنَّيْسَابُورِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ اَللَّهِ اَلدِّهْقَانِ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : " إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اَللَّهُ بِهِ سِتٌّ حُبُّ اَلدُّنْيَا وَ حُبُّ اَلرِّئَاسَةِ وَ حُبُّ اَلطَّعَامِ وَ حُبُّ اَلنِّسَاءِ وَ حُبُّ اَلنَّوْمِ وَ حُبُّ اَلرَّاحَةِ." [12]

وروى الشيخ الصدوق في الأمالي: حَدَّثَنَا أَبِي رَحِمَهُ اَللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اَللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَاشِمٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اَلرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ اَلثُّمَالِيِّ عَنِ اَلْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ

مَسْعُودٍ مَنْ تَعَلَّمَ اَلْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَ زِينَتِهَا حَرَّمَ اَللَّهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ مَنْ تَعَلَّمَ اَلْعِلْمَ وَ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ حَشَرَهُ اَللَّهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ أَعْمَى وَ مَنْ تَعَلَّمَ اَلْعِلْمَ رِئَاءً وَ سُمْعَةً يُرِيدُ بِهِ اَلدُّنْيَا نَزَعَ اَللَّهُ بَرَكَتَهُ وَ ضَيَّقَ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ وَ وَكَلَهُ اَللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ وَكَلَهُ اَللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ هَلَكَ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً وَ لاٰ يُشْرِكْ بِعِبٰادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ..."[10]

إنَّ سعيَ بعض الشخصيات للمتاجرة بالدين واستخدامه وسيلة لجني المنافع يمكن أن يحجبهم عن بلوغ المراتب التقوائية، ويزرع الشكّ في قلوب المؤمنين من حولهم، ويعمّق من تآكل هؤلاء بالمؤسسات الدينية؛ فتجّار الدين عندما يعطوا الأولوية للمكاسب والمنافع المادية فإنّهم بذلك يلوّثون سمعة الدين ويعززون ثقافة الجشع، ويعكسون للعوام ثقافة خاطئة تقوم على أساس التعلّق بالسلوكيات الشكلية والمظاهر الصورية طمعًا في بلوغ مغانم دنيوية، والتي قد لا يدركها غيرهم، وإن أوتوا من العلوم والمقامات العالية.

إنَّ المناهج والبرامج الدينية حينما تتحول إلى سلعة لها ثمن، فإنه من الطبيعي أن يسعى التاجر إلى الترويج لبضاعته وكسب أكثر عدد ممكن من المشترين، فهذا هو المنطق التجاري، لذلك نجد الذين اتخذوا الدين وسيلة لأغراض دنيوية يسعون بكل جهد لتمرير رسائل إلى المتلقين، ودغدغة مشاعرهم العقائدية والعاطفية، وملأ الفراغات الروحية في نفوسهم وتعميق اهتماماتهم بالنوافل والمستحبات، دون التركيز على جوهر الأركان وروح الواجبات.

والمتاجرة بالدين لا تقف عند حد معيّن، ولا بدّ لها من أدوات ووسائل، فغالبًا ما يسعى هؤلاء إلى تأسيس فضائيات وإقامة ندوات وبرامج، يسعون من خلالها بالدعاية لأنفسهم، والترويج لسلوكياتهم، والتغطية على أفعالهم، وإخفاء حقيقة نواياهم؛ فالسلاح الأقوى عند هؤلاء هو خلط الأوراق، والتّلاعب بالألفاظ، والعشعشة في بلاط السلطان، والجلوس على أرائكه والتلذذ بموائده، فهؤلاء لم يترددوا حتى في تحريف كلام الله تعالى والعزف على أوتار الظلم بأصابع الطمع والنفاق، وَمُمَالَأَةُ أهل الضلال مع علمهم أن في ذلك تغييب لوعي الأفراد، وشرعنة الفساد، ودمار البلاد والعباد.

فَعَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَ خَمْسَةُ رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِنَا يَوْماً عَلَى رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ قَدْ أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَ لَمْ يَكُنْ رِزْقُنَا مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلاَّ اَلْمَاءَ وَ اَللَّبَنَ وَ وَرَقَ اَلشَّجَرِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اَللَّهِ إِلَى مَتَى نَحْنُ عَلَى هَذِهِ اَلْمَجَاعَةِ اَلشَّدِيدَةِ فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: " لاَ تَزَالُونَ فِيهَا مَا عِشْتُمْ فَأَحْدِثُوا لِلَّهِ شُكْراً فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَ اَللَّهِ اَلَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ وَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي فَمَا وَجَدْتُ مَنْ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ إِلاَّ اَلصَّابِرُون." إلى أن قال: " يَقُولُ اَللَّهُ تَعَالَى وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلاٰ فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ يَعْنِي اَلْعُلَمَاءَ وَ اَلْفُقَهَاءَ يَا اِبْنَ مَسْعُودٍ مَنْ تَعَلَّمَ اَلْعِلْمَ يُرِيدُ بِهِ اَلدُّنْيَا وَ آثَرَ عَلَيْهِ حُبَّ اَلدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا اِسْتَوْجَبَ سَخَطَ اَللَّهِ عَلَيْهِ وَ كَانَ فِي اَلدَّرْكِ اَلْأَسْفَلِ مِنَ اَلنّٰارِ مَعَ اَلْيَهُودِ وَ اَلنَّصَارَى اَلَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اَللَّهِ تَعَالَى قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اَللّٰهِ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ يَا اِبْنَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: 34].

والاتجار بالدين له وجوه مُتعددة، وأهمها اتخاذ الدين وسيلة لطلب مآرب سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية؛ وجميعها تشترك في هدف الوصول إلى المنافع والمكاسب الفردية أو الجماعية، وبالتالي تمكّنهم من بلوغ مراتب اجتماعية، وتجعل لهم اليد الطولى، والولاية العليا على مقدّرات الأمة.

ولعلّ اختلال الموازين كان سببًا في فتح الأبواب على مصراعيها لأصحاب الدكاكين من المتاجرين بالدين وتمكّن البعض ممن لا وزن لهم أن يتصدّروا المشهد في غفلة من الزمن؛ فقد جاء في الغَيبة للشيخ النعماني: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ اَلْحَسَنِ اَلتَّيْمُلِيُّ مِنْ كِتَابِهِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَ سَبْعِينَ وَ مِائَتَيْنِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ بَيَّاعُ اَلسَّابِرِيِّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ اَلْوَلِيدِ بْنِ خَالِدٍ اَلْخَزَّازُ جَمِيعاً قَالاَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي اَلْبِلاَدِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنِ اَلْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَقُولُ: إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ اَلْقَائِمِ سِنِينَ خَدَّاعَةً يُكَذَّبُ فِيهَا اَلصَّادِقُ وَ يُصَدَّقُ فِيهَا اَلْكَاذِبُ وَ يُقَرَّبُ فِيهَا اَلْمَاحِلُ وَ فِي حَدِيثٍ وَ يَنْطِقُ فِيهَا اَلرُّوَيْبِضَةُ فَقُلْتُ وَ مَا اَلرُّوَيْبِضَةُ وَ مَا اَلْمَاحِلُ قَالَ أَ وَ مَا تَقْرَءُونَ اَلْقُرْآنَ قَوْلَهُ – وَ هُوَ شَدِيدُ اَلْمِحَالِ قَالَ يُرِيدُ اَلْمَكْرَ فَقُلْتُ وَ مَا اَلْمَاحِلُ قَالَ يُرِيدُ اَلْمَكَّارَ.[9]

فيوضات النُّور المُقدس وتَستَضيئ بِه لِتُزيلَ به العَوائق والعَلائق، فتطهر من أمراض الأنا. فهي بذلك ستقرأ الواقع الخارجي بصورة حقيقية، وستعكسه لجميع الناس كما هو، دون تزييف أو تحريف.

لذلك فإن الكمالات المعرفية والفهم الحقيقي لأركان الدين هُو الحِصن الحصين والسَبيل نَحوَ النَّجاة والخَلاص مِن السقوط في وحل الجهل وغياب الوعي. وهذه الحقيقة تفرض على المُسلم الواعي أن لا يدَّخر وُسْعًا في أخذ المعارف الدينية من أمثال هؤلاء العلماء الربّانيين، مِمّن لَم تَفتِنَهم الحَياة الدنيا، ولم يستَظلّوا بظلّ سلطان ظالم ولم يتقربوا إليه مادحين أو معينين بكلمةٍ أو فِعلٍ، فهؤلاء هم الأصفياء والدعاة الحقيقيين إلى الله وعلى الأمّة اتّباعَهَم.

إنَّ الوعيَ لا يمكن تغييبه حينما يكون مستندًا إلى معارف صَدَرَت عن أقوال وسلوكيات أناس أصفياء ورجال أتقياء، فحينما تتجلّى لدى هؤلاء حالة التطابق بين الإيمان القلبي والسلوك الأخلاقي غير المزدوج سينعكس ذلك صدقًا واخلاصًا في القول والفعل، وسيكون الدين في قلوبهم جوهريًا وليس ظاهريًا أو قشرويًا.

الاتّجارُ بالدِّين

لا شكَّ أنَّ المتاجرة بالدين فتنة عظمى وآفة كبرى تشوّه صورة التديّن، وقد حذّر الله تعالى عباده من هذه الظاهرة في العديد من آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ

عَلاَمَاتٍ لِلْمُرَائِي يَنْشَطُ إِذَا رَأَى اَلنَّاسَ وَ يَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ وَ يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ" .[7]

ويرى العديد من الحكماء والمتكلمين وعلماء النفس أنّ الوعي قد يسقط ضحية لمداركنا وحواسنّا التي جرى خداعها، فأخذت تنظر إلى حقائق الأشياء بطريقة مشوّهة. لذلك يرى هؤلاء المفكرون أن الناس أموات إذا ماتوا انتبهوا، وأدركوا الحقيقة الحقيقية، وايقنوا حجم التغييب في الحقائق الذي كانوا ضحيّة له. روي عن الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنّه قال: " اَلنَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا اِنْتَبَهُوا ".[8]

ولعل مستوى إدراكنا ووعينا يمثّل انعكاسًا لطبيعة فهمنا وارتباطنا بالواقع المجتمعي، وحينما يكون الفهم الديني والعقدي غير مكتمل، بسبب تأثير المظاهر الشكلية، والايمان القشروي، والسلوك الصوري لأنصاف المتينين، حيث بدأ الناس بالتعلق بظواهر الدين وابتعدوا عن الجوهر، فنشأت عن ذلك أهواء لاعقلانية ومعتقدات غير واقعية ترفد أصحابها بالأوهام والتخيّلات فيحسبونها أنَّها معارف حقيقية.

ولا شكّ أنَّ للمنافقين وتجّار الدين دور في صناعة هذا الوهم المجتمعي، والذي كان نتيجته التيّه الذي حلَّ بالأفراد والجماعات. فحينما يكون هناك تطابق بين الإيمان والسلوك؛ بين التّوجّه القّلبي والخُشُوع الرّوحي الممزوج بأفعال جَسَديّة حقيقية تَحمِل مِعاني الصدق والاخلاص ولا تسعى نحو الرياء والسمعة؛ وبمعنى أنَّه حينما يَتَوَحّد ظّاهر الإنسان مع باطنه، والسرّ مع العَلَن، والشّكل مع المَضمون، فإنَّه ستنشأ عن ذلك قلوب سليمة تَقتَبِسُ أنْوارها مِن

اَلْمُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلَباً لِلرِّئَاسَةِ، حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ: « اِتَّقِ اَللَّهَ، أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ اَلْمِهَادُ » . فَهُوَ يَخْبِطُ [خَبْطَ] عَشْوَاءَ، يَقُودُهُ أَوَّلُ بَاطِلٍ إِلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ اَلْخَسَارَةِ، وَ يَمُدُّ يَدَهُ بَعْدَ طَلَبِهِ لِمَا لاَ يَقْدِرُ [عَلَيْهِ] فِي طُغْيَانِهِ، فَهُوَ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اَللَّهُ، وَ يُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ لاَ يُبَالِي مَا فَاتَ مِنْ دِينِهِ إِذَا سَلِمَتْ لَهُ رِئَاسَتُهُ اَلَّتِي قَدْ شَقِيَ مِنْ أَجْلِهَا. فَأُولَئِكَ [مَعَ] اَلَّذِينَ« غَضِبَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ »« وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً مُهِيناً » وَ لَكِنَّ اَلرَّجُلَ كُلَّ اَلرَّجُلِ، نِعْمَ اَلرَّجُلُ هُوَ اَلَّذِي جَعَلَ هَوَاهُ تَبَعاً لِأَمْرِ اَللَّهِ، وَ قُوَاهُ مَبْذُولَةً فِي رِضَاءِ اَللَّهِ تَعَالَى، يَرَى اَلذُّلَّ مَعَ اَلْحَقِّ أَقْرَبَ إِلَى عِزِّ اَلْأَبَدِ مِنَ اَلْعِزِّ فِي اَلْبَاطِلِ، وَ يَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَرَّائِهَا يُؤَدِّيهِ إِلَى دَوَامِ اَلنِّعَمِ فِي دَارٍ لاَ تَبِيدُ وَ لاَ تَنْفَدُ، وَ إِنَّ كَثِيرَ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ سَرَّائِهَا إِنِ اِتَّبَعَ هَوَاهُ يُؤَدِّيهِ إِلَى عَذَابٍ لاَ اِنْقِطَاعَ لَهُ وَ لاَ زَوَالَ. فَذَلِكُمُ اَلرَّجُلُ نِعْمَ اَلرَّجُلُ، فَبِهِ فَتَمَسَّكُوا، وَ بِسُنَّتِهِ فَاقْتَدُوا، وَ إِلَى رَبِّكُمْ فَبِهِ فَتَوَسَّلُوا، فَإِنَّهُ لاَ تُرَدَّ لَهُ دَعْوَةٌ، وَ لاَ تُخَيَّبُ لَهُ طَلِبَةٌ ."[6]

إنَّ أَبرَزَ معيارين يمكن من خلالهما الحُكم بإيمان الإنسان وصلاحه، رجلاً كان أم امرأة، هما المعرفة والسلوك الأخلاقي. فالمعرفة الجوهرية بأركان الدين إذا ما نَتَجَ عنها إيمان راسخ وعمل صالح فإنه سيثمر سلوكًا سليمًا وأخلاقًا حميدة.

وإنَّ التصنّع في الشكليات والسلوكيات لا يكفي للحكم بالإيمان والاستقامة، فطلب الرياء والمدح تُعَدّ مِنَ المُرديات، فقد روى الكليني في الكافي بِإِسْنَادِهِ قَالَ قَالَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) : " ثَلاَثُ

لأنَّ الموجِدَ والمالِكَ هوَ اللهُ تَعالى. وفي ظلّ اختلاط الأوراق، والتّشابك في القيَم والمفاهيم، حيث باتت الكثير من الحقائق البيّنة يشوبها الخلط واللبس، وأصبح الكثيرون يعتمدون في تقييماتهم على ظواهر الأشكال وقشور الأفعال متناسين معدن الإنسان ومستوى إيمانه ومعارفه بجوهر الأركان. إنَّ هذا الأمر يعتبر من القضايا الجوهرية والتي من خلالها يتم فرز الإيمان الحقيقي عن الإيمان الصوري. وَرَدَ عن الإمام عَلِيّ بْنِ اَلْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ : " إِذَا رَأَيْتُمُ اَلرَّجُلَ قَدْ حَسُنَ سَمْتُهُ وَ هَدْيُهُ، وَ تَمَاوَتَ فِي مَنْطِقِهِ، وَ تَخَاضَعَ فِي حَرَكَاتِهِ، فَرُوَيْداً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُعْجِزُهُ تَنَاوُلُ اَلدُّنْيَا، وَ رُكُوبُ اَلْمَحَارِمِ مِنْهَا ، لِضَعْفِ بُنْيَتِهِ وَ مَهَانَتِهِ وَ جُبْنِ قَلْبِهِ فَنَصَبَ اَلدِّينَ فَخّاً لَهَا، فَهُوَ لاَ يَزَالُ يَخْتِلُ اَلنَّاسَ بِظَاهِرِهِ، فَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ حَرَامٍ اِقْتَحَمَهُ. فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ مِنَ اَلْمَالِ اَلْحَرَامِ (فَرُوَيْداً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ، فَإِنَّ شَهَوَاتِ اَلْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَنْبُو عَنِ اَلْمَالِ اَلْحَرَامِ) وَ إِنْ كَثُرَ، وَ يَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى شَوْهَاءَ قَبِيحَةٍ، فَيَأْتِي مِنْهَا مُحَرَّماً. فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ يَعِفُّ عَنْ ذَلِكَ، فَرُوَيْداً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا مَا عُقْدَةُ عَقْلِهِ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ، ثُمَّ لاَ يَرْجِعُ إِلَى عَقْلٍ مَتِينٍ، فَيَكُونُ مَا يُفْسِدُهُ بِجَهْلِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ بِعَقْلِهِ. فَإِذَا وَجَدْتُمْ عَقْلَهُ مَتِيناً فَرُوَيْداً لاَ يَغُرَّنَّكُمْ حَتَّى تَنْظُرُوا مَعَ هَوَاهُ يَكُونُ عَلَى عَقْلِهِ أَوْ يَكُونُ مَعَ عَقْلِهِ عَلَى هَوَاهُ وَ كَيْفَ مَحَبَّتُهُ لِلرِّئَاسَاتِ اَلْبَاطِلَةِ وَ زُهْدُهُ فِيهَا فَإِنَّ فِي اَلنَّاسِ مَنْ« خَسِرَ اَلدُّنْيا وَ اَلْآخِرَةَ » بِتَرْكِ اَلدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، وَ يَرَى أَنَّ لَذَّةَ اَلرِّئَاسَةِ اَلْبَاطِلَةِ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ اَلْأَمْوَالِ وَ اَلنِّعَمِ اَلْمُبَاحَةِ

الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 183]. والأمر مشابه لباقي الأركان والأعمال العبادية.

إنَّ الإنسان القشري لا يحمل من الدين إلا الظاهر، ولا يدرك من المعاني والمفاهيم الا الشّكل، ولا يفهم من النكات البيانية والأحكام الشرعية إلا السطحيات، لذلك فإن كيانه وذاته ووجوده قشري، فتراه يتمسك بالظواهر ولا يفقه الجواهر. وأما أولوا الألباب وأصحاب البصائر، فهؤلاء سعوا نحو الحكمة واجتهدوا في طلب المعارف والعلوم، وحينما عَلِمَ الباري عزّ وجلّ منهم الصدق والاخلاص أفاض عليهم من جمال وكمال فيوضاته، فأصبحوا تجليًا لأسمائه وصفاته.

إنَّ العديدَ من الحقائق تكشف عن أنَّ تطوّر العلوم الحياتية قد لا يكون مرتبط بشكل مباشر بوعي الإنسان أو بسلوكه أو تصرفاته، فالواقع الخارجي يتناقض مع هذه الفرضية، فعلى الرغم من التقدم المتسارع في المجالات العلمية إلا أننا لا زلنا نشهد تزايدًا ملحوظا في معدل الجريمة واتساعًا في أدوات التخريب وانتشارًا في الفساد وشرعنةً لأسلحة الدمار الشامل. وحيث أنّ العلم قد قدّم للبشرية منافع جمّة، إلا أنّ الواقع يكشف كذلك عن هيمنة الدول الكبرى واستخدامها العلوم والتكنولوجيا في مجالات لا تدر نفعًا على الإنسان.

إنَّ الوعي الحقيقي هو ذلك الذي يكون نابعًا عن إيمان يحجب صاحبه عن إتيان القبائح؛ ولأنَّ الأشياء في جوهرها ثابتة في معناها الحقيقي، فإنَّ الإنسانُ وإن استطاع تزييف بعض ظواهر الأشياء إلا أنَّه لا يمتلك القدرة في اختراق وتغيير جوهرها أو المساس بحقائقها،

من ذلك سوى متاع حقير في زمن قصير، فَعَن أمير المؤمنين علي (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) أنَّه قالَ: " اَلْمُسْتَأْكِلُ بِدِينِهِ حَظُّهُ مِنْ دِينِهِ مَا يَأْكُلُهُ."[4]

إنَّ التكامل في الوعي الإنساني يمثّل العمق الحقيقي للدين، ولا يتحقق إلا من خلال الفهم الحقيقي لأركانه، وتجاوز القشريّة في الممارسات العبادية، وعدم تحويله إلى مفاهيم صورية، خالية من المضمون، وإلا تحول الدين إلى سطور يرددها المُتعبد ومعلومات مختزنة في ذهن الإنسان، غير فاعلة ولا مؤثرة في حياته، فتغيب حينها تلك المعاني الجوهرية، والتي تمثّل الأساس في بناء وَعيه، والرَّكيزة في سلوكه.

والأركان إنما شُرّعت من أجل تثبيت معاني روحية وتقوائية في النفس الإنسانية: فالصلاة مثلًا إنّما شُرّعت من أجل إقامة مانع وحاجز يردع الإنسان عن إتيان الفواحش والمنكرات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[العنكبوت: 45]، وحينما لا يحقق المسلم هذا الهَدَف فإنَّ ذلك يَعني أنَّ الهَدَفَ مِنَ الصلاة لم يتحقق. جاء في تفسير البرهان: اَلطَّبْرِسِيُّ ، قَالَ: رَوَى أَصْحَابُنَا ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ (عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ) ، قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ أَمْ لَمْ تُقْبَلْ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ مَنَعَتْهُ صَلاَتُهُ عَنِ اَلْفَحْشَاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ؟ فَبِقَدْرِ مَا مَنَعَتْهُ قُبِلَتْ مِنْهُ "[5].

وكذلك الحال لفريضة الصوم، فإن السبب من تشريعها هو نيل مراتب التقوى، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

السلام!! وغيرها من المظاهر؛ إلا أننا نجد العديد من هؤلاء يسقطون في أول امتحان، فترى العض منهم همّه الدنيا، فلا يتردد في الظلم والافساد والغشّ والسرقة. ولكي يكمل مسعاه، تراه يُغلّف أفعاله هذه بغطاء ظاهره شرعي وباطنه الكذب والخداع. وقد ورد عن الإمامِ عَليّ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنَّه قال: " عَامِلُ اَلدِّينِ لِلدُّنْيَا جَزَائُهُ عِنْدَ اَللَّهِ اَلنَّارُ."[3]

إنَّ هذه المظاهر وغيرها، والتي بات يمتهنها البعض من تجّار الدين تحت ستار من التَّدين الشكليّ والمَظاهر الخدّاعة، كانت سببًا في تغييب وعي العوام وباعثًا لهم في انغماسهم بالتديّن القشريّ.

لا شكَّ أنَّ الهَدَفَ مِن وَراءِ هذه السلوكيات هو اكتساب القوة والسلطة، ونَيلِ الكلمة العليا واليد الطولى، وبالتالي التّحكم فى أمور العوام وتحقيق مكانة جماهيرية فَاعِلة تمكّن أصحابها من بلوغ أهداف اجتماعية وسياسية، وإن كانت بوسائل غير مقبولة شرعًا أو قانونًا.

إنَّ التَّدَينَ الصُّوَري لبعض تجّار الدين يشكّل ظاهرة خطيرة ألقَت بضلالها على شرائح واسعة من المجتمعات، وكانت سببًا بقيام تديّن وهمي، يلغي الوعي، ويعمّق الجّهل والخرافة، ويغيّب الإدراك الحقيقي للدين، ويستبدله بالتّخاذل والوَهَن والاستسلام.

ويعتبر اتّساع سطوة ونفوذ بعض من حَمَلوا قُشور الدين مرتبط بتردّي الفكر وانحسار التنوير، فأهداف هؤلاء باتت مُنحصرة في جَمعِ المَغانم والمكاسب الدنيوية والمنافع الشخصية والفئوية، وقد اتّخذوا من زيّهم ولعق الدِّين على ألسنتهم، أَدَوات وَوَسائل لِجَني الأرباح والبقاء في صدارة المشهد، اجتماعيًا وسياسيًا، علمًا أنَّهم لن ينالوا

رَأْيُ ذِي اَلرَّأْيِ وَ حِكْمَةُ اَلْحَكِيمِ، أَلْبِسُهُمْ شِيَعاً وَ أُذِيقُ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، أَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِي بِأَعْدَائِي، ثُمَّ أُعَذِّبُهُمْ جَمِيعاً وَ لاَ أُبَالِي.[2]

وَ رَوَاهُ عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ اَلْحِمْيَرِيُّ فِي قُرْبِ اَلْإِسْنَادِ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْعَدَةَ: مِثْلَهُ إِلَى قَوْلِهِ «تَتْرُكُ اَلْحَلِيمَ حَيْراناً».

وهكذا، وحينما تتولّى عمليّة البناء الروحي نماذج قد تقمَّصت أدوار عماء دين، فإنَّ ذلك يكشف عن حالة الازدواجية في الفكر والسلوك؛ فهؤلاء يدعونَ الناس لِقِيَم ومبادئ هُم في الواقع غير ملتزمون بها؛ تراهم ينتهجون سياسات انتقائية في مناهجهم وبرامجهم، فلا يظهرون بها من الدين إلا القشور؛ ولا يتعاملون مع الأحداث إلا بسطحية؛ همّهم الأول تحقيق المنافع والمكاسب؛ يستنزفون طاقة المُتلقي بأمور هامشيَّة، وَيَتَعَمَّدون المبالغة فيها من أجل أبعاده عن القضايا الجوهرية، ليتمكَّنوا من إفراغ الدين من محتواه الحقيقي وعزله وجعله هامشي وثانوي، ومحصورًا بين جدران الكنيسة أو المسجد، وَيَصنَعون منه صُورةً مُشّوهة ومملّة في أعين الناس، وبالتالي حرمانهم من التزود من هذا النبع الصافي، وإبقاءهم في وعي مغيَّب.

إنَّ التَّلَبس بلباسِ الدِّين، وَتَقَمُّصَ شخصيّة رِجالاتِهِ، طَمَعًا في نَيلِ المناصب وَجَني المَكاسب، وأملًا في اكتسابِ الصورة والمَكانة الاجتماعية، هي في الواقع ما عادت تنطلي على أهل البصائر، فالمجتمع بين الحين والحين يفرز مظاهر لأفراد جَعَلوا جُلّ اهتمامهم وغاية مطلبهم منحصر في "المسبحة" و" اللحية" و "المَلبَس" و "اللّقلقة" في الحديث، والتصنّع في الكلام، والتّشبّه في المشي وإلقاء

وستبقيهم فوق صدورهم مستأثرين بالمال والسلطة، ولو كان ذلك على حساب المحرومين والمتعبين، وهذا هو حال الأمم التي غيّبها الجّهل وتربعت على صدرها الأميّة.

إنَّ بروز هذه الرموز الدينية، وفي أزمنة مختلفة، وبحكم الثروات المالية التي جمعوها، جعل منهم طبقة مستبدَّة، تجاهد في تغييب الوعي وإيهام الأفراد والجماعات من أجل إثبات وجودها، ولتجعل من نفسها الناطق الرسمي باسم الدين، والمتحدث الأول باسم القِيَم والمبادئ والمُثُل، وأنها وحدها مَن يُقرر المنهج الذي يجب أن تسير عليه الأمة، وأنَّ أي صوت مُعترض سيكون مصيره العزل والإقصاء، والحرمان من الحقوق، بغض النظر عن مكانته العلمية والاجتماعية. وأمّا من يقف أمامهم مُطأطأ الرأس، مُطيعًا، مُقرًا، خاضِعًا، ذَليلًا، فإنّهم سينهالون عليه بالعطايا، من الحقوق التي وضعوا أيدِيَهم عليها، وَنَصَّبوا أنفُسَهم مُأتَمَنين عليها.

وَرَدَ في كِتَابِ عِقَابِ اَلْأَعْمَالِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ زِيَادٍ عَنِ اَلصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا اَلسَّلاَمُ قَالَ: إِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَاباً عَلَى نَبِيٍّ مِنَ اَلْأَنْبِيَاءِ، وَ فِيهِ: إِنَّهُ يَكُونَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِي يَلْحَسُونَ اَلدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ مُسُوكَ اَلضَّأْنِ عَلَى قُلُوبٍ كَقُلُوبِ اَلذِّئَابِ، أَعْمَالُهُمْ أَشَدُّ مَرَارَةً مِنَ اَلصَّبِرِ، وَ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ اَلْعَسَلِ، وَ أَعْمَالُهُمُ اَلْبَاطِنَةُ أَنْتَنُ مِنَ اَلْجِيَفِ، أَ فَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ إِيَّايَ يُخَادِعُونَ؟ فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَطَأُ فِي خِطَامِهَا حَتَّى تَبْلُغَ أَطْرَافَ اَلْأَرْضِ تَتْرُكُ اَلْحَلِيمَ حَيْراناً، يَضِلُّ فِيهَا

الفهم الحقيقي والمُحرّك الجوهري للسير نحو طريق التّكمال الإنساني، وإدراك مقامات القُرب الإلهي.

والمجتمعات الإنسانية في عمومها تقوم على الطبقية، وتنقسم إلى مراتب هرمية للأفراد والجماعات بناءً على عوامل متعددة، أهمّها السلطة والثّروة والمَكانة العلميّة والاجتماعيّة. وهذا التّقسيم من شأنه أن يعمّق تلك الطبقية ويزيد من حالة التباين والتفاوت والتمييز بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا ما نهى عنه الإسلام كثيرًا وحذَّر من عواقبه، فالمجتمع الذي يعيش اللّاعدالة في توزيع الموارد والفرص والامتيازات، فإنَّه يفضي في كثير من الحالات إلى نزاعات مستمرة بين هذه الطبقات، وخصوصًا بين الطبقة الكادحة والمحرومة وبين المستأثرة بالخيرات والثروات دون وجه حق.

وفي دائرة هذا الصراع المستمر، ولأنَّ الدِّين كان ولا يزال يمثّل أقوى محرك اجتماعي، فإنَّ المتاجرة بالدين هي الأكثر رواجًا لدى العديد من المجتمعات، فهي تمثّل الباب الأوسع، والطريق الأسرع، في بلوغ المنافع، ونيل المكاسب، واستحصال الوجاهة الاجتماعية.

وهذا الأمر ما كان له أن يَتمّ لولا تَغييب وعي الشعوب، وإخضاعهم، وتركيعهم، واجبارهم في قبول هذا الواقع المزيّف.

وحينما يبدأ الأموات بالتعلّق بالمظاهر والأشكال دون الروح والجوهر، فإنّك لن تسمع منهم صوتًا معترض، بل العكس من ذلك، ستبدأ تلك الأمة النائمة بتعظيم وتمجيد من زوّروا واحتالوا وتقمّصوا دور رجال الدين، وستعمل هذه الأمة الحائرة وتجاهد في الدفاع عنهم

لِأَمِيرِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَنْ خَيْرُ خَلْقِ اَللَّهِ بَعْدَ أَئِمَّةِ اَلْهُدَى وَ مَصَابِيحِ اَلدُّجَى؟ قَالَ اَلْعُلَمَاءُ إِذَا صَلَحُوا قِيلَ فَمَنْ شِرَارُ خَلْقِ اَللَّهِ بَعْدَ إِبْلِيسَ وَ فِرْعَوْنَ وَ نُمْرُودَ وَ بَعْدَ اَلْمُتَسَمِّينَ بِأَسْمَائِكُمْ وَ اَلْمُتَلَقِّبِينَ بِأَلْقَابِكُمْ – وَ اَلْآخِذِينَ لِأَمْكِنَتِكُمْ وَ اَلْمُتَأَمِّرِينَ فِي مَمَالِكِكُمْ –؟ قَالَ اَلْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا هُمُ اَلْمُظْهِرُونَ لِلْأَبَاطِيلِ اَلْكَاتِمُونَ لِلْحَقَائِقِ وَ فِيهِمْ قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اَللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اَللاّٰعِنُونَ `إِلاَّ اَلَّذِينَ تٰابُوا اَلْآيَةَ ."[1]

الدينُ غالبًا ما يُفهَم على أنَّهُ نِظامٌ يَجمع المعتقدات والعبادات، وأنَّ مقامات الوعي الإنساني مرتبطة بمستوى الإيمان بجوهر أركانه، والتَمسّك بعمق نصوصه، والمعرفة بأصوله وفروعه، بالشكل الذي يتمّ فيه تجاوز الظاهرية والقشرية في المعتقدات، والشكلية والصورية في العبادات.

والفهم المعمَّق والجوهري للتعاليم والمبادئ الإسلامية من شأنها إثراء الوعي المعرفي والروحي، لذلك فإنَّ الْمَقْصد والغايَة من كُلّ عِبَادَة يَكمُن في مَضمُونها وَرُوحَهَا لَا في شَكلها وحَرَكَاتها، وبذلك تُزَكّى النُفوس وتُطَهّر القُلوب ويبلغ بها الإنسان مراتب الوعي ويرتقي مقامات البصيرة.

إنّ سببَ دوام الدين وسرّ بقاءه لا يكمن في المعاني الظاهرية من أحكامه ولا المداليل الشكلية في نصوصه وموروثاته الروائية، وإنّما في روح وجوهر أركانه، وفهم فلسفته العبادية على أنَّها الدّافع في

إِنَّمَا كَثُرَ اَلتَّخْلِيطُ فِيمَا يُحْتَمَلُ عَنَّا أَهْلَ اَلْبَيْتِ لِذَلِكَ لِأَنَّ اَلْفَسَقَةَ يَتَحَمَّلُونَ عَنَّا فَيُحَرِّفُونَهُ بِأَسْرِهِ بِجَهْلِهِمْ وَ يَضَعُونَ اَلْأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا لِقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ وَ آخَرُونَ يَتَعَمَّدُونَ اَلْكَذِبَ عَلَيْنَا لِيَجُرُّوا مِنْ عَرَضِ اَلدُّنْيَا مَا هُوَ زَادُهُمْ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَ مِنْهُمْ قَوْمٌ نُصَّابٌ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى اَلْقَدْحِ فِينَا يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا اَلصَّحِيحَةِ فَيَتَوَجَّهُونَ بِهِ عِنْدَ شِيعَتِنَا وَ يَنْتَقِصُونَ بِنَا عِنْدَ نُصَّابِنَا ثُمَّ يُضِيفُونَ إِلَيْهِ أَضْعَافَهُ وَ أَضْعَافَ أَضْعَافِهِ مِنَ اَلْأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا اَلَّتِي نَحْنُ بِرَاءٌ مِنْهَا فَيَتَقَبَّلُهُ اَلْمُسْتَسْلِمُونَ مِنْ شِيعَتِنَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ عُلُومِنَا فَضَلُّوا وَ أَضَلُّوا وَ هُمْ أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى اَلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ وَ أَصْحَابِهِ فَإِنَّهُمْ يَسْلُبُونَهُمُ اَلْأَرْوَاحَ وَ اَلْأَمْوَالَ وَ هَؤُلاَءِ عُلَمَاءُ اَلسَّوْءِ اَلنَّاصِبُونَ اَلْمُتَشَبِّهُونَ بِأَنَّهُمْ لَنَا مُوَالُونَ وَ لِأَعْدَائِنَا مُعَادُونَ وَ يُدْخِلُونَ اَلشَّكَّ وَ اَلشُّبْهَةَ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا فَيُضِلُّونَهُمْ وَ يَمْنَعُونَهُمْ عَنْ قَصْدِ اَلْحَقِّ اَلْمُصِيبِ لاَ جَرَمَ أَنَّ مَنْ عَلِمَ اَللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ مِنْ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ أَنَّهُ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ صِيَانَةَ دِينِهِ وَ تَعْظِيمَ وَلِيِّهِ لَمْ يَتْرُكْهُ فِي يَدِ هَذَا اَلْمُتَلَبِّسِ اَلْكَافِرِ – وَ لَكِنَّهُ يُقَيِّضُ لَهُ مُؤْمِناً يَقِفُ بِهِ عَلَى اَلصَّوَابِ ثُمَّ يُوَفِّقُهُ اَللَّهُ لِلْقَبُولِ مِنْهُ فَيَجْمَعُ اَللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ خَيْرَ اَلدُّنْيَا وَ اَلْآخِرَةِ وَ يَجْمَعُ عَلَى مَنْ أَضَلَّهُ لَعْناً فِي اَلدُّنْيَا وَ عَذَابَ اَلْآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ أَشْرَارُ عُلَمَاءِ أُمَّتِنَا اَلْمُضِلُّونَ عَنَّا اَلْقَاطِعُونَ لِلطُّرُقِ إِلَيْنَا اَلْمُسَمُّونَ أَضْدَادَنَا بِأَسْمَائِنَا اَلْمُلَقِّبُونَ أَنْدَادَنَا بِأَلْقَابِنَا يُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَ هُمْ لِلَّعْنِ مُسْتَحِقُّونَ وَ يَلْعَنُونَّا وَ نَحْنُ بِكَرَامَاتِ اَللَّهِ مَغْمُورُونَ وَ بِصَلَوَاتِ اَللَّهِ وَ صَلَوَاتِ مَلاَئِكَتِهِ اَلْمُقَرَّبِينَ عَلَيْنَا عَنْ صَلَوَاتِهِمْ مُسْتَغْنُونَ ثُمَّ قَالَ قِيلَ

لِي يَا اِبْنَ رَسُولِ اَللَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِنَّ عَوَامَّ اَلْيَهُودِ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عُلَمَاءَهُمْ بِالْكَذِبِ اَلصِّرَاحِ وَ بِأَكْلِ اَلْحَرَامِ وَ اَلرِّشَاءِ وَ بِتَغْيِيرِ اَلْأَحْكَامِ عَنْ وَاجِبِهَا بِالشَّفَاعَاتِ وَ اَلْعِنَايَاتِ وَ اَلْمُصَانَعَاتِ وَ عَرَفُوهُمْ بِالتَّعَصُّبِ اَلشَّدِيدِ اَلَّذِي يُفَارِقُونَ بِهِ أَدْيَانَهُمْ وَ أَنَّهُمْ إِذَا تَعَصَّبُوا أَزَالُوا حُقُوقَ مَنْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَ أَعْطَوْا مَا لاَ يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ وَ ظَلَمُوهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَ عَرَفُوهُمْ يُقَارِفُونَ اَلْمُحَرَّمَاتِ وَ اُضْطُرُّوا بِمَعَارِفِ قُلُوبِهِمْ إِلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ فَاسِقٌ لاَ يَجُوزُ أَنْ يُصَدَّقَ عَلَى اَللَّهِ وَ لاَ عَلَى اَلْوَسَائِطِ بَيْنَ اَلْخَلْقِ وَ بَيْنَ اَللَّهِ فَلِذَلِكَ ذَمَّهُمْ لَمَّا قَلَّدُوا مَنْ قَدْ عَرَفُوهُ وَ مَنْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ قَبُولُ خَبَرِهِ وَ لاَ تَصْدِيقُهُ فِي حِكَايَتِهِ وَ لاَ اَلْعَمَلُ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِمْ عَمَّنْ لَمْ يُشَاهِدُوهُ وَ وَجَبَ عَلَيْهِمُ اَلنَّظَرُ بِأَنْفُسِهِمْ فِي أَمْرِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِذْ كَانَتْ دَلاَئِلُهُ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ تَخْفَى وَ أَشْهَرَ مِنْ أَنْ لاَ تَظْهَرَ لَهُمْ وَ كَذَلِكَ عَوَامُّ أُمَّتِنَا إِذَا عَرَفُوا مِنْ فُقَهَائِهِمُ اَلْفِسْقَ اَلظَّاهِرَ وَ اَلْعَصَبِيَّةَ اَلشَّدِيدَةَ وَ اَلتَّكَالُبَ عَلَى حُطَامِ اَلدُّنْيَا وَ حَرَامِهَا وَ إِهْلاَكَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ وَ إِنْ كَانَ لِإِصْلاَحِ أَمْرِهِ مُسْتَحِقّاً وَ بِالتَّرَفْرُفِ بِالْبِرِّ وَ اَلْإِحْسَانِ عَلَى مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ وَ إِنْ كَانَ لِلْإِذْلاَلِ وَ اَلْإِهَانَةِ مُسْتَحِقّاً فَمَنْ قَلَّدَ مِنْ عَوَامِّنَا مِثْلَ هَؤُلاَءِ اَلْفُقَهَاءِ فَهُمْ مِثْلُ اَلْيَهُودِ اَلَّذِينَ ذَمَّهُمُ اَللَّهُ بِالتَّقْلِيدِ لِفَسَقَةِ فُقَهَائِهِمْ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ اَلْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ حَافِظاً لِدِينِهِ مُخَالِفاً عَلَى هَوَاهُ مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلاَهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ وَ ذَلِكَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بَعْضَ فُقَهَاءِ اَلشِّيعَةِ لاَ جَمِيعَهُمْ فَإِنَّهُ مَنْ رَكِبَ مِنَ اَلْقَبَائِحِ وَ اَلْفَوَاحِشِ مَرَاكِبَ فَسَقَةِ اَلْعَامَّةِ فَلاَ تَقْبَلُوا مِنَّا عَنْهُ شَيْئاً وَ لاَ كَرَامَةَ وَ

مِنْ عِنْدِ اَللهِ تَعَالَى إِلَى آخِرِهَا هَذَا اَلْقَوْمُ اَلْيَهُودُ كَتَبُوا صِفَةً زَعَمُوا أَنَّهَا صِفَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ هِيَ خِلاَفُ صِفَتِهِ وَ قَالُوا لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْهُمْ هَذِهِ صِفَةُ اَلنَّبِيِّ اَلْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ اَلزَّمَانِ إِنَّهُ طَوِيلٌ عَظِيمُ اَلْبَدَنِ وَ اَلْبَطْنِ أَهْدَفُ أَصْهَبُ اَلشَّعْرِ وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِخِلاَفِهِ وَ هُوَ يَجِيءُ بَعْدَ هَذَا اَلزَّمَانِ بِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَ إِنَّمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ عَلَى ضُعَفَائِهِمْ رِئَاسَتُهُمْ وَ تَدُومُ لَهُمْ إِصَابَتُهُمْ وَ يَكُفُّوا أَنْفُسَهُمْ مَئُونَةَ خِدْمَةِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ خِدْمَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ خَاصَّتِهِ فَقَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ مِنْ هَذِهِ اَلصِّفَاتِ اَلْمُحَرَّفَاتِ وَ اَلْمُخَالِفَاتِ لِصِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ اَلشِّدَّةُ لَهُمْ مِنَ اَلْعَذَابِ فِي أَسْوَإِ بِقَاعِ جَهَنَّمَ وَ وَيْلٌ لَهُمْ اَلشِّدَّةُ فِي اَلْعَذَابِ ثَانِيَةً مُضَافَةً إِلَى اَلْأُولَى بِمَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ اَلْأَمْوَالِ اَلَّتِي يَأْخُذُونَهَا إِذَا ثَبَّتُوا عَوَامَّهُمْ عَلَى اَلْكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ اَلْحُجَّةِ لِوَصِيِّهِ وَ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَلِيِّ اَللَّهِ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَإِذَا كَانَ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمُ مِنَ اَلْيَهُودِ لاَ يَعْرِفُونَ اَلْكِتَابَ إِلاَّ بِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ لاَ سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ فَكَيْفَ ذَمَّهُمْ بِتَقْلِيدِهِمْ وَ اَلْقَبُولِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَ هَلْ عَوَامُّ اَلْيَهُودِ إِلاَّ كَعَوَامِّنَا يُقَلِّدُونَ عُلَمَاءَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَيْنَ عَوَامِّنَا وَ عُلَمَائِنَا وَ عَوَامِّ اَلْيَهُودِ وَ عُلَمَائِهِمْ فَرْقٌ مِنْ جِهَةٍ وَ تَسْوِيَةٌ مِنْ جِهَةٍ أَمَّا مِنْ حَيْثُ اِسْتَوَوْا فَإِنَّ اَللَّهَ قَدْ ذَمَّ عَوَامَّنَا بِتَقْلِيدِهِمْ عُلَمَاءَهُمْ كَمَا ذَمَّ عَوَامَّهُمْ وَ أَمَّا مِنْ حَيْثُ اِفْتَرَقُوا فَلاَ قَالَ بَيِّنْ

الفصلُ الثاني: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾. (صدق الله العليّ العظيم)

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: 204 – 206].

أورد صاحب الإحتجاج، وَ بِالْإِسْنَادِ اَلَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ اَلْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ اَلْكِتٰابَ إِلاَّ أَمٰانِيَّ أَنَّ اَلْأُمِّيَّ مَنْسُوبٌ إِلَى أُمِّهِ أَيْ هُوَ كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لاَ يَقْرَأُ وَ لاَ يَكْتُبُ – لاٰ يَعْلَمُونَ اَلْكِتٰابَ اَلْمُنْزَلَ مِنَ اَلسَّمَاءِ وَ لاَ اَلْمُتَكَذِّبَ بِهِ وَ لاَ يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمَا إِلاَّ أَمَانِيَّ أَيْ إِلاَّ أَنْ يُقْرَأَ عَلَيْهِمْ وَ يُقَالَ لَهُمْ إِنَّ هَذَا كِتَابُ اَللَّهِ وَ كَلاَمُهُ لاَ يَعْرِفُونَ إِنْ قُرِئَ مِنَ اَلْكِتَابِ خِلاَفُ مَا فِيهِ – وَ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ أَيْ مَا يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاؤُهُمْ مِنْ تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي نُبُوَّتِهِ وَ إِمَامَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ سَيِّدِ عِتْرَتِهِ وَ هُمْ يُقَلِّدُونَهُمْ مَعَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ تَقْلِيدُهُمْ – فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ اَلْكِتٰابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا

13.نهج البلاغة، ج1، ص57. ونهج البلاغة، ج1، ص551. وروضة الواعظين، ج2، ص354. ووسائل الشيعة، ج15، ص308. وبحار الأنوار، ج88، ص136. ومستدرك الوسائل، ج6، ص149.

14. نهج البلاغة، ج1، ص412. وبحار الأنوار، ج33، ص499.

المصادر

1. الكافي، ج5، ص107. وتهذيب الأحكام، ج6، ص331. والوافي، ج17، ص155. ووسائل الشيعة، ج17، ص179. وتفسير نور الثقلين، ج3، ص258. وتفسير كنز الدقائق، ج8، ص70.
2. الخصال، ج، ص186. ونوادر الأخبار، ج1، ص24. وبحار الأنوار، ج1، ص187.
3. النوادر (للراوندي)، ج1، ص27. وأعلام الدين، ج1، ص408. ووسائل الشيعة، ج17، ص180. وبحار الأنوار، ج72، ص372. ومستدرك الوسائل، ج13، ص123.
4. بحار الأنوار، ج75، ص116.
5. الكافي، ج1، ص54. والوافي، ج1، ص243. وتفسير نور الثقلين، ج5، ص267. وتفسير كنز الدقائق، ج13، ص147.
6. الكافي، ج، ص46. والنوادر (للراوندي)، ج1، ص27. وأعلام الدين، ج1، ص90. وعوالي اللئالي، ج4، ص77. ومنية المريد، ج1، ص138. والوافي، ج1، ص213. والفصول المهمة، ج1، ص607. وبحار الأنوارن ج2، ص36. ومستدرك الوسائل، ج13، ص124.
7. الأمالي، للشيخ المفيد، ج1، ص3. وبشارة المصطفى (ص)، ج1، ص4.
8. نهج البلاغة، ج1، ص426. وبحار الأنوار، ج33، ص599. ومستدرك الوسائل، ج13، ص160.
9. غرر الحكم، ج1، ص336.
10. وسائل الشيعة، 17، ص404. وبحار الأنوار، ج41، ص105.
11. نهج البلاغة، ج، ص346. وإرشاد القلوب، ج2، ص216. وبحار الأنوار، ج41، ص162.
12. نهج البلاغة، ج1، ص48.

تَكِيدُ هَذِهِ اَلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ وَ تَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ اَلشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ اَلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ اَلْكَرَّةَ وَ عَاجَلْتَ اَلْوَثْبَةَ فَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ اَلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمُ اِخْتِطَافَ اَلذِّئْبِ اَلْأَزَلِّ دَامِيَةَ اَلْمِعْزَى اَلْكَسِيرَةَ فَحَمَلْتَهُ إِلَى اَلْحِجَازِ رَحِيبَ اَلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ لاَ أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ عَلَى أَهْلِ تُرَاثِكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أُمِّكَ فَسُبْحَانَ اَللَّهِ أَ مَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَ وَ مَا تَخَافُ مِنْ نِقَاشِ اَلْحِسَابِ أَيُّهَا اَلْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي اَلْأَلْبَابِ كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَ طَعَاماً وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَ تَشْرَبُ حَرَاماً وَ تَبْتَاعُ اَلْإِمَاءَ وَ تَنْكِحُ اَلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ اَلْيَتَامَى وَ اَلْمَسَاكِينِ وَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُجَاهِدِينَ اَلَّذِينَ أَفَاءَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ اَلْأَمْوَالَ وَ أَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ اَلْبِلاَدَ فَاتَّقِ اَللَّهَ وَ اُرْدُدْ إِلَى هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اَللَّهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اَللَّهِ فِيكَ وَ لَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِيَ اَلَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ دَخَلَ اَلنَّارَ وَ وَ اَللَّهِ لَوْ أَنَّ اَلْحَسَنَ وَ اَلْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ فِعْلِكَ اَلَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَ لاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُمَا وَ أُزِيحَ اَلْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا وَ أُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي فَضَحِّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ اَلْمَدَى وَ دُفِنْتَ تَحْتَ اَلثَّرَى وَ عُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ اَلَّذِي يُنَادِي اَلظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ وَ يَتَمَنَّى اَلْمُضَيِّعُ اَلرَّجْعَةَ فِيهِ وَ لاٰتَ حِينَ مَنٰاصٍ."[14]